الفصل السادس

نظرية الجشطلت: المبادئ و التطبيقات

Max Wertheimer – Wolf Gang Kohler – Kurt Koffka

نظرية الجشطلت: المبادئ و التطبيقات

(1943-1880) Max Wertheimer

(1967-1887) Wolf Gang Kohler

(1941-1886) Kurt Koffka

تمهيد:

ظهرت هذه النظرية في بدايات القرن العشرين في ألمانيا على يد عالم النفس الألماني Max Wertheimer كما ساهم أيضا في تطوير أفكارها كل من عالم النفسWolf Gang Kohler و Kurt Koffka، وهي من النظريات المعرفية التي عارضت بشدة المدرسة السلوكية (نظريات المثير والاستجابة) والمدرسة البنائية من حيث دعوتهما إلى التأكيد على تحليل الظاهرة النفسية إلى مكوناتها الأولية كي يتيسر فهم مثل هذه الظاهرة.

ظهرت في ألمانيا و انتشرت في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث دعت إلى دراسة السلوك ككل و ليس كأجزاء منفصلة. ويرجع أصل كلمة الجشطلت (Gestalt) إلى اللغة الألمانية و هي تشير إلى إدراك الكل و ليس مجرد مجموع الأجزاء المكونة له، و هي تعني : الشكل ، الصيغة، البنية... أما اصطلاحا فمعناها كل مترابط الأجزاء بانتظام حيث أن كل جزء منه فيه مكانه و دوره و وظيفته التي تتطلبه طبيعة الكل. فهي ترى أن للكل وظيفة أو معنى معينا يصعب إدراكه على مستوى الأجزاء أو العناصر، وذلك لأن الجزء يكون عديم المعنى على نحو منفصل عن الكل، فالجزء يؤدي أدوارا مختلفة باختلاف الكليات التي ينتمي لها .وانطلاقا من هذا المبدأ، فهي تفترض أن الكائن الحي يضيف شيئا من عنده إلى تلك الخبرة بحيث لا يعمل الكل على توحيد العناصر الحسية لتلك الخبرة فحسب، بل يتضمن أيضا عنصر التنظيم وهو الشيء الذي يضيفه الكائن الحي إلى هذه العناصر. فعلى سبيل المثال، ترى المدرسة الجشطلتية أن اللحن الموسيقي ليس مجرد مجموعة أصوات تعزفها الآلات المختلفة، وأن النفس ليس مجرد مجموعة

أفكار ومشاعر وميول وحركات، وإنما تنظر إلى هذه الأشياء على أنها كليات ذات تنظيم ديناميكي تشتمل على معان ووظائف معينة.

بالرغم أن موضوع التعلم لم يكن المحور الأساسي لهذه النظرية، إلا أن ما قدمته من مبادئ حول الإدراك وقوانين التنظيم الإدراكي وحل المشكلات يسهم على نحو لا يدعو إلى الشك في فهم عملية التعلم الإنساني، فهي تفترض أن عملية فهم السلوك الإنساني يتطلب بالدرجة الأولى معرفة كيف يدرك الكائن الحي نفسه والموقف الذي يتفاعل معه، فالتعلم يتضمن إدراك الأشياء كما هي على حقيقتها، وهو في صورته النموذجية بمثابة انتقال من موقف غامض غير واضح لا معنى له إلى حالة يمكن من خلالها أن يصبح هذا الموقف الغامض على غاية من الوضوح ويشتمل على معنى قابل للفهم ويتيح إمكانية التكيف معه .

تجارب Kohler على الاستبصار:

تعد تجارب Kohler على القردة من أشهر التجارب التي أجريت على عملية الاستبصار .وقد استخدم مجموعتين من الأبحاث، وهي ما تعرف بتجارب حل المشكلات وتتضمن تجارب العصا وتجارب الأقفاص.

ففي إحدى تجاربه الشهيرة وضع قردا جائعا في قفص وكان معلق في سقفه موزا بحيث لا يستطيع القرد تناوله مباشرة، وكان في القفص أيضا صندوق وعصا .وقد هدف Kohler من هذه التجربة تحديد ما إذا كان القرد قادرا على إدراك العلاقة بين العصا والصندوق والموز (عناصر الموقف) .

لقد لاحظ Kohler أن القرد حاول لعدة مرات تناول الموز مباشرة، لكنه فشل في ذلك، مما حدا به إلى الجلوس والتأمل في الموقف المشكل .وكنتيجة لمحاولاته المتعددة التي باءت بالفشل، أدى ذلك بالقرد إلى إعادة تنظيم عناصر الموقف ، بحيث اكتشف على نحو مفاجئ طريقة الحل، حيث استخدم الصندوق للوقوف عليه والعصا لإسقاط الموز، بحيث أخذ القرد يكرر مثل هذا السلوك أو الحل في كل مرة يواجه فيه مثل هذا الموقف .لقد استنتج Kohler أن القرد توصل إلى هذا الحل (السلوك) على نحو مفاجئ من

خلال عملية الاستبصار وليس من خلال المحاولة والخطأ، إذ تمكن من خلال التأمل إدراك العلاقات القائمة بين عناصر الموقف الثلاث وهي :الموز و الصندوق و العصا.

أفكار النظرية:

التعلم حسب هذه النظرية يعني اكتشاف طبيعة الموقف المدرك ، و هو متعلق بادراك ما هو رئيسي ، و معرفة كيف تترابط الأشياء و العناصر و التعرف على البنية الداخلية للموقف الذي على المتعلم التعامل معه ، فالإدراك هو المحدد للتعلم.

إن الصورة المألوفة للتعلم هي مسالة الانتقال من حالة يكون شيء ما فيها لا معنى له ، أو من حالة توجد فيها ثغرة لا يمكن التغلب عليها، أو حالة يبدو فيها الموقف كله غامضا ، إلى حالة تنظيم إدراكي جديد يصبح فيها للأشياء معنى نتغلب فيها على الفجوة المحيرة أو الحالة التي كان فيها الموقف غامضا إلى موقف أكثر وضوحا.

فالتعلم عند الجشطلت ليس عملية ارتباط عشوائية بين الأشياء لم تكن مترابطة من قبل ، فالتعلم يعني التعرف الكامل على العلاقات الداخلية للموقف المراد تعلمه ، و بالتالي فهي تلح على الدور النشيط للفرد في عملية التعلم و إيجاد حل المشكلات ، و إن اكتشاف الحل المناسب يتم بإعادة تنظيم مكونات الموقف أو ما يسمى الاستبصار ، و هي في الغالب عملية تنظيم تدريجي لعناصر الموقف يدرك فيها المتعلم العلاقات المختلفة في الموقف و هو الحل الذي يبدأ ببعض النشاط الذهني ثم الجسمي ، ثم التوقف و المرور بفترة تأمل و حيرة ، و لكنه لا يلبث أن يقفز فجأة إلى الحل . و التعلم بالاستبصار يختلف عن التعلم بالمحاولة و الخطا الذي يستغرق فيه المتعلم عددا من المحاولات التي تحذف فيها الأخطاء تدريجيا ، أما التعلم بالاستبصار فهو تعلم تنظيمي في المجال الإدراكي مرة واحدة، و أن الوصول إلى الحل في المرة الثانية لن يستغرق وقتا و لن يبدل فيه المتعلم أي محاولة فاشلة.

و لقد قدمت النظرية مجموعة من الافتراضات أهمها:

-التعلم يعتمد على الإدراك:

-التعلم يبنى على إعادة التنظيم:

-الاستبصار يجنب الأخطاء و السلوك الغبي:

-التعلم الحقيقي لا ينطفئ .

-التعلم القائم على الفهم يمكن نقله .

-الاستبصار هو مكافأة التعلم به .

-التشابه يلعب دورا مهما في الذاكرة (التكرار، الاقتران، التسلسل).

كما يتأثر التعلم بالاستبصار حسب الجشطلت بعدة عوامل منها:

- مستوى النضج الجسمي الذي يسمح بالتعلم.
- مستوى النضج العقلي (القدرة على إدراك العلاقات في الموقف)
- الخبرة أو الألفة بعناصر الموقف يجعل التعلم سهلا.

إن التعلم بالاستبصار حسب الجشطلت يمر بمراحل هي:

- السلوك يصدر عن حالة التوتر النفسي الموجود (الجوع لدى القرد).
- هذا السلوك يهدف إلى إزالة حالة التوتر (الوصول إلى الموز).
- وجود عائق يحول دون الوصول إلى الهدف المرجو لإزالة التوتر.
- إدراك المجال الذي يحيط بالمتعلم إدراكا واضحا.
- الوصول فجأة إلى الحل و ذلك بعد إدراك العلاقات المختلفة بين ما يوجد في المجال المحيط بالموقف.
- الحل الذي يتم الوصول إليه يمكن تطبيقه في مواقف جديدة مشابهة.

التطبيقات التربوية

– الدعوة إلى الاعتماد على مبدأ الكل قبل الجزء، فأصبح التعلم يبدأ بتقديم الموضوع بشكل شامل ثم تجزئته وفق خطة محددة دون الإخلال بالبنية الداخلية للموضوع المدرس ، مع تحقيق الاستبصار في كل جزء على حدى(تعليم القراءة...الكلمات ثم الأصوات ثم الحروف).

– الدعوة إلى التركيز على الطريقة الصحيحة للإجابة و ليس على الإجابة الصحيحة في حد ذاتها ، و ذلك لتنمية الفهم و الاستبصار بالقواعد و المبادئ المسؤولة عن الحل مما يزيد فرص انتقالها إلى مواقف أخرى.

– التأكيد على المعنى و الفهم ، فيجب ربط الأجزاء دائما بالكل فتكتسب المعزى (يكون للأحداث التاريخية مغزى عند ربطها بالأحداث الحالية).

– إظهار المعلم البنية الداخلية للمادة المتعلمة و الجوانب الأساسية لها بحيث يحقق البروز الإدراكي لها مقارنة بالجوانب الهامشية فيها، مع توضيح أوجه الشبه و الاختلاف بين المادة المتعلمة الحالية و ما تعلمه الفرد سابقا.